بأن « ماركس قد اصاب قلب المشكلة عندما قال بأن اليهودية استمرت حية « ليس برغم التاريخ ، ولكن في التاريخ ، ومن خلاله » . وهو لهذا يحاول ان يحلل مشكلة اليهودي واليهودية والحركة الصهيونية من خلال مجمل ظروف اليهود، والشعوب التي يعيشون بين ظهرانيها. ولانه يحلل ويستقصي، فانه يكتشف اثر الشتات في اليهودي ، ويشير الى ذلك موضحا فرادة القضية اليهودية وهو ما ينساه ويتجاهله كثيرون . ولكن دويتشر المفكر الماركسي ينسى ما هو اهم واخطر . انه ينسى شعب فلسطين . الا انه لا ينسى اليهود ابدا . وهو ، وان كان يؤمن بأن تحرير اليهود لا يأتي بقيام دولة يهودية بل « بالتحرير الانساني الشامل » فانه يعطي مبررات مختلفة لقيام دولة يهودية اهمها ما يلي :

١ — « أن الدولة اليهودية قد اصبحت بالنسبة لبقايا اليهودية الاوروبية ضرورة تاريخية ، وهي ايضا حقيقية حية » ، ولا يفوته أن يتساءل في النص ذاته : « أهي بالنسبة لهم فقط » .

٢ — « ان العالم اضطر اليهود الى اعتناق فكرة الدولة — الامة ، وان يجعل منها كبرياءه وامله ، في الوقت الذي لم يبق فيه شيء من الامل او قليل منه » .

٣ — والانسان لا يستطيع أن يلوم اليهود على ما حدث بالعرب في فلسطين « فالناس الذين يطاردهم وحش ، وهم يركضون لانقاذ حياتهم لا يستطيعون الا أن يؤذوا هؤلاء الذين في الطريق، ولا يستطيعون الا ان يدوسوا ممتلكاتهم » .

والحل بالنسبة لدويتشر هو : ايجاد لغة تفاهم مشتركة بين اليهود ومن حولهم وقيام فيدرالية شرق اوسطية اشتراكية عربية — يهودية . ولكن هل هذا الحل ممكن ؟ وهل تسمح به طبيعة تكوين اسرائيل ؟ وكيف يمكن ان يتحقق ؟ ان دويتشر الذي يشرح لنا في صفحات طويلة كيف لم يستطع النظام البلشفي ان يحل المسالة اليهودية عنده ، يقترح علينا بسرعة وبساطة هذا الحل .

ودويتشر لا يكتفي بتبرير قيام دولة يهودية ، بل يعلن ندمه على مهاجمة الصهيونية قائلا : « لو انني ، بدلا من المجادلة ضد الصهيونية في العشرينات والثلاثينات حثثت اليهود الاوروبيين على الهجرة الى فلسطين ، فلربما كنت قد ساعدت على انقاذ بعض حيوات اطفئت في غرف الغاز الهتلرية » .

والكتاب ، وهو مجموعة مقالات كتبت في اوقات مختلفة ، يقدم الكثير من التفصيلات والشروح عن حياة اليهود ومشاكلهم ، ولكنه ، في نظري ، لا يقدم حلا لقضية فلسطين . والحل الذي يقترحه لا يقوم على أسس . وأخطر ما يمكن ان يزرعه في اذهاننا مثل هذا الكتاب ذو النفس التقدمي ، وذو النزعة العلمية في التحليل فكرتان :

الاولى : ان الصهيونيين اضطروا الى الهجرة الى فلسطين ، واضطروا الى اقامة دولتهم فيها ، وان دويتشر مثلنا ضد هذه الدولة ولكنه لا يملك الا يعتبر وجودها « ضرورة تاريخية » بسبب عداء « عالم الاغيار » لليهود . الثانية : ان دولة الاحتلال « أمر واقع » ، وأن كل ما يجب أن نرجوه ونتمناه هو ان تتحول الى دولة اشتراكية ، وان تحيل العداء بيننا وبينها الى « حسن جوار » .

ن. ع.

Kishtainy, Khalid, *Whither Israel ?* A Study of Zionist Expansionism. Beirut: P. L. O. Research Center, 1970.

يدور الكتاب حول فكرة اساسية هي أن التوسع صفة جوهرية من صفات الصهيونية، ويقدم الكاتب عددا كبيرا من الادلة المستندة الى الوثائق والمدعمة بعشرين خريطة مما يعطي للكتاب اثرا قويا .

تبحث الفصول الاولى من الكتاب معنى «فلسطين» و« أرض اسرائيل » من الناحية الجغرافية والتاريخية ويتبع ذلك بحث للاطماع الاساسية التي تقوم عليها القومية اليهودية وبعد ذلك يقدم المؤلف تحليلا لاعمال المنظمة الصهيونية العالمية وعددا من الفصول التي تبحث في أساليب التوسع — الصراخ حول « الضغط السكاني » ، استعمال القوة والطرد و« الامر الواقع » والثأر . ويلفت الكاتب الانتباه ايضا الى الدور الذي لعبه اليهود في الخارج ضمن الخطة العامة للصهيونية . واخيرا هناك عدد من الفصول التي تروي قصة التسلل الصهيوني الى فلسطين والاستيلاء عليها .

لا شك ان الكتاب لن يستطيع ان يحول معتنقي الصهيونية الى موقف مضاد ولكنه يثير تساؤلات في اذهان من يؤيدون او يعطفون على الصهيونية